# التقديم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أفضل خلق البشر الصادق الأمين محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن اتبع الهدى أما بعد:

فيقول المؤرخ إسكندر عزيز عن فلسطين وصهيون: معتمدًا على ما ورد في الكتب السماوية:

آدم أول من آمن بإله واحد له ملك السماوات والأرض، خلقه سبحانه من صلصال، وسواه في أدق تكوين وأجمل تصوير، ونفخ فيه من روحه.. وأوسع له من رزقه.. ثم أخلفه سلالة من الأخيار أوصلوا الإيمان إلى سيدنا نوح..

جاء الطوفان.. ثم مضى عهده.. فعاد البشر إلى سابق عهدهم من الميل عن التقوى إلى الهوى، وعن الدين والإيمان بالله إلى الكفر والإشراك وعبادة الكواكب والأوثان، فجاء إبراهيم ولم يكن أقل ورعًا وتقوى وإيمانًا من نوح.. لام قومه على عبادة الكواكب والأوثان فنقموا عليه وأرادوا به كيدًا..

﴿ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ ﴾ (١)

﴿ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ۘ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ (٢)

---

(١) سورة الأنبياء الآيتان ٧٠ – ٧١.

(٢) سورة العنكبوت الآيتان ٢٦ – ٢٧.

تفرعت ذرية سيدنا إبراهيم فى إسحق وإسماعيل، وتشتت سلالتاهما فى أنحاء الأرض، وقد تدرجت سلالة إسحق إلى المسيح عيسى :

﴿ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ (١)

وتدرجت سلالة إسماعيل إلى النبى سيدنا محمد ﷺ :

﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ ﴾ (٢)

---

(١) سورة آل عمران الآيات ٤٨ - ٥٠

(٢) سورة البقرة الآيات ١٢٧ - ١٢٩

ترك سيدنا ابراهيم - بوحي من ربه - أرض أور ما بين النهرين - مسقط رأسه ورأس أبيه، قاصدًا الأرض المباركة التي أعطاه الله بها عهدًا لسكناه وسكنى أبنائه وسلالة أبنائه - ما بين الجزيرة وأرض كنعان :

﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ (١)

استوطنها بعد أن جاب البادية وزرع القفار، ورزقه الله فيها إسماعيل واسحق:

﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلۡكِبَرِ إِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾ (٢)

ولقد أنجب إبراهيم إسماعيل من هاجر، وأنجب إسحق من سارا وقال لربه:

﴿ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنٗا وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضۡلَلۡنَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِۖ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّيۖ وَمَنۡ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣٦﴾ ﴾ (٣)

أقام بنو إسرائيل سلالة إسحق بادئ ذي بدء في أرض فلسطين حالّين على أهلها، ثم نزحوا إلى أرض مصر إثر يوسف الصديق :

﴿ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ وَقَالَ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ ﴾ (٤)

---

(١) سورة ابراهيم الآية ٣٧.

(٢) سورة إبراهيم الآية ٣٩

(٣) سورة إبراهيم الآيتان ٣٥ - ٣٦

(٤) سورة يوسف الآية ٩٩

نزحوا إليها واستوطنوها جيلاً بعد جيل، تمتعوا فى رحبها، وتمتعوا بخصبها ولكنهم لم يندمجوا فى أهلها، ثم ضاقت بهم أرضها، فضموا رحلهم، وشدوا رحالهم، وموسى على رأسهم، وقد جابوا القفار، وتاهوا فيها أربعين حولاً، حتى انتهوا إلى نهر الأردن، إزاء أرض جدهم الأعظم إبراهيم..

وبعد أن هجروها أربعين ومائتى سنة عادوا إليها على زعم أنها مازالت أرضهم، وكثيرًا ما تركوها بعد ذلك ثم عادوا إليها، وقد أصبحت بمضى الأجيال ومرور الآجال أرض غيرهم ممن أقاموا بها واستوطنوها جيلاً بعد جيل من بعدهم.. دخلوا الأرض واغتصبوا الديار واستوطنوها بالسيف وبالنار.. وقد أتوا بأهلها من الإرهاب ما تقشعر منه الأبدان، وتشيب منه نواصى الولدان، مما يتلونه فى كتبهم بفخر وإيمان..

«سقط السور وأخذوا المدينة.. وأحرقوها بالنار مع كل ما بها.. قال الرب ليشوع لا تخف ولا ترتعد، خذ معك رجال الحرب واصعد إلى عاى.. فتفعل بها وبملكها ما فعلت بأريحا وملكها، غير أن غنيمتها وبهائمها تنهبونها لأنفسكم.. دخل بنوا إسرائيل المدينة وأحرقوها بالنار كقول الرب ولما انتهوا من قتل جميع أهل عاى أسقطوهم جميعا بحد السيف حتى فنوا، فكان جميع الذين سقطوا فى ذلك اليوم من رجال ونساء اثنى عشر ألفًا.. جميع أهل عاى.. وأما البهائم وغنيمة تلك المدينة فنهبها بنو إسرائيل لأنفسهم.. وأحرق عاى وجعلها تلا أبديًا خرابًا، وعلق ملك عاى على الخشبة حتى المساء.. وعند غروب الشمس أنزل الجثة وطرحها عند باب المدينة.. ولما سمع جميع الملوك ما حل بعاى اجتمعوا لمحاربة يشوع.. ولما انتهى يشوع وبنو اسرائيل من ضربهم ضربة عظيمة حتى فنوا قال يشوع لقواده «تقدموا وضعوا أرجلكم على أعناقهم ثم ضربهم وعلقهم على الخشب ثم أنزلهم وطرحهم فى المغارة.. وأخذ يشوع*..مقيدة وضربها بحد السيف مع ملكها..

ثم اجتاز إلى عجلون وضربها بحد السيف.. ثم إلى حبرون وضربها بحد السيف مع ملكها.. ثم إلى ديبر وضربها بحد السيف.. ثم إلى حاصور وأحرقها بالنار.. ثم أبادهم.. ولم يبق نسمة.. ثم شرع بنو إسرائيل فى قسمة الأرض..

---

(*) هناك نقص فى الأصل.

« وحارب بنو يهوذا أورشليم وأخذوها وضربوها بحد السيف وأشعلوا المدينة بالنار.. وضربوا.. وضربوا.. وضربوا بحد السيف.. وكمن ابيمالك فى الحقل ونظر وإذا الشعب يخرج من مدينة.. فقام عليهم وضربهم وحارب المدينة كل ذلك اليوم وأخذها.. وقتل الشعب الذى بها.. وهدمها ووضع أغصان الشجر على العرج وأحرق عليهم العرج بالنار.. فمات جميع أهل البرج نحو ألف رجل وامرأة..

« وضرب الرب بنيامين أمام اسرائيل.. وأهلك بنو إسرائيل من بنيامين فى ذلك اليوم خمسة وعشرين ألفا.. ثم .. ثم.. ثم.. ثم.. إلى أن جاء المسيح عيسى رسولاً إلى بنى إسرائيل.. فكانت الكلمة سيفه.. وكان هو من الكلمة.. أتاهم.. وقاتل بلسانه.. وانتصر بلسانه.. وهدى بلسانه.. وقهر بلسانه.. وكانت وصيته فى القتال.. « الحق والحب » .

جاء المسيح عيسى إلى بنى إسرائيل فقال: ﴿ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌۖ ﴾[1].

ثم رحل جُل من كفروا به عن أرض فلسطين إلى أنحاء الأرض متشتتين يبتغون الرزق وجمع المال.. كما ابتغوا قديمًا فى أرض مصر جمع الأقوات والغلال، وقد استوطنوا شتى الأقطار والأمصار.. مندمجين وغير مندمجين.. وهم ما زالوا طامعين فى أرض فلسطين مدعين أن الله أعطاها عهدًا لإسحق ويعقوب، ولأبناء اسحق ويعقوب، ولسلالة إسحق ويعقوب، إلى أبد الآبدين.. إذ ورد فى توراتهم: «وقال الرب لإسحق اسكن هذه الأرض أنت وسلالتك وسأكون معك».. «ستتضاعف ذريتك فتفوق نجوم السماء عدًا».. وقال الرب ليعقوب: «أنا الرب إله إبراهيم وإسحق – هذه الأرض التى تتوسدها – أرض بتل أى بيت الله.. هى لك ولذريتك». ولكنى أحسبهم قد أغفلوا أن عهد إسحق هذا ورد فيه: « وأقطع لك بها – أى الأرض – العهد الذى قطعته لجدك إبراهيم من قبل وهو أن الأرض جميعها ما بين أنهر الأردن والفرات ومصر موطن لإبراهيم ولأبناء إبراهيم ولذرياتهم أجمعين.

---

(١) سورة الصف الآية ١٤

« قال الرب لإبراهيم اخرج من أرض أور - بلادك وبلاد قومك - واذهب إلى حيث أوحيك..» .. « فرحل إبراهيم ومعه لوط ابن أخيه وسارا زوجه إلى أرض كنعان، قال له الرب: «هذه الأرض ميراث ذريتك.

ثم انتقل إبراهيم غرب بتل - أى بيت الله - ولما وجد الأرض مجدبة قصد إلى أرض مصر - ثم عاد مصر ثريًا، ونزل ما بين بتل وعاى.. وقد افترق عنه لوط ونزل فى وادى الأردن.. أما إبراهيم فقال له الرب: ارفع عينيك وانظر شمالاً وجنوبًا، شرقًا وغربًا فهذه الأرض التى تراها جميعا ستكون لذريتك من بعدك.. وستكون ذريتك كتراب الأرض لا تعد ولا تحصى..

« انظر إلى السماء وخبر عن عد نجومها، كذلك سيكون عد ذريتك من بعد..».. « ثم وضعت له هاجر المصرية إسماعيل بعد أن حزنت وابتأست ويئست فقال لها ملاك الرب: « لا تحزنى فإن الله سيهبك من إبراهيم ولدا أسمه إسماعيل - أى يارب اسمع لى - لأن الرب سمع لك صوت أحزانك. وسيكون ابنك هذا جبارًا قويًا، وسيقيم مع أخوته.. وسيضاعف الرب فى سلالته بحيث لا تعد ولا تحصى»..

« وبعد أن أنجب إبراهيم إسماعيل ظهر له الرب وقال له: «سيكون اسمك من اليوم إبراهيم - أى أب شعب كبير - وسيأتى منك أمم..» .. «أنا الرب الذى أخرجك من أور لترث ذريتك هذه الأرض، وسأعطيك وأعطيهم أرض كنعان إلى أبد الآبدين.. وستكون أبا لأمم تترى.. وسيأتى ملوك من سلالتك».

« ثم أنجب إبراهيم إسحق من ساراه فقال له الرب: «وسأقطع لأبنك إسحق عهدًا ولذريته من بعد.. وأما إسماعيل فقد باركته وسينجب ذرية كبيرة وسيكون راس أمة عظيمة.. وسيأتى منها اثنا عشر ملكًا» ..

وقد ورد فى التوراة أن إسماعيل كان بعد بلوغه الثلاثين من عمره قد عاد إلى كتف أبيه إبراهيم كما ورد أن عيشو بن إسحق وشقيق يعقوب تزوج من بنات إسماعيل وأن أبناء إبراهيم إخوة إسماعيل وإسحق من غير هاجر وساراه - أمثال

زمران ومديان ويقطان – قد تكاثرت ذريتهم وتشتت أسـرهم فـى أنحـاء الأرضـين شمالاً وجنوبًا وشرقًا وغربًا – وفى أرض كنعان وفى غير أرض كنعان ما بـين نـهر مصر المبارك ونهر الأردن حتى نهر الفرات العظيم.

والآن وبعد مئات ومئات السنين يقول بعض اليهود مـن الصـهيونيين: إن بـلاد الله الواسعة قد ضاقت بهم وضاقوا بها.. فـأصبحت جيـلاً بعـد جيـل لا تطيقـهم ولايطيقونها.. ومـا ذلـك إلا لأنـهم لا يندمجـون.. بـل لا يريـدون أن يندمجـوا.. اضطهدهم الألمان فى بلادهم وفى غير بلادهم.. ثم حاربهم غير الألمان، وحاروا فى أمرهم.. وقد عجزوا عن أن يجدوا لهم موطنًا قوميًا فيه يصمدون وإليه يستكينون، كما عجزوا عن أن يجدوا حتى الآن سبيلاً لأن ينزلوهم جميعا فى صـهيون.. لأن صهيون أصبحت موطن أبناء أبيهم إسحق الذين انفصلـوا عنـهم مـن حـوالى ألفى سنة إذ آمن أكثرهم بعيسى.. ثم آمن أكثرهم بمحمـد ﷺ ، كمـا أصبحـت موطـن أبناء عمهم إسماعيل الذين أسلموا من بعدهم ومن قبلهم.

وقد أصبح أهل فلسطين الآن يتناجون: « مـاذا جنينـا حتـى يـنزح إلينـا هـذا الخليط الصهيونى الأجنبى الذى تركنا وهاجر وغاب قرنًا بعـد قـرن وجيـلاً بعـد جيل، فأصبحت له مواطـن تـترى فـى مشـارق الأرض ومغاربـها، وإذا مـا توالـد وتكاثر أتانا ظلمًا وعدوانًا ليغصـب أرضنـا، وينـتزع أقواتنـا، ويسـتحل أراضينـا، ودورنا».

وغـير أهـل فلسـطين يقولـون: «ونحـن مـاذا جنينـا حتـى تبقـى تلـك الفئـة الصهيونية الثائرة بين أظهرنا وهى لا تريد أن تندمج فينا ما حيِيَت وما حيينـا» لادينها ديننا، ولا دمها دمنـا، ولا ذريتـها ذريتنـا.. تزاحمنـا مسـاكننا وتنافسـنا أرزاقنا، وتنتزع من أفواهنا أقواتنا وتكدس فى خزائنها أموالنا.. ثـم هـى تزعجنـا وتشاغبنا لنجدد لها عهد أرضها.. وقد أصبحت الأرض موطن سلالة الجد الأكـبر إبراهيم – عرب وغير عرب – نصارى ويهود ومسلمين.. ذريـة إسـحق وإسـماعيل ولوط ويقطان ومديان وزمران، ممن لم ينزحوا عن الأرض بل استقروا بها قرنًا بعد قرن.. فأصبحت بطبيعة الحال موطنًا قوميًا لهم دون سواهم..

قلق الصهيونيون فى بـلاد الله قاطبـة، وأقلقـوا أهـل البـلاد قاطبـة، فـهم لـن يسعدوا - على زعمهم - إلا فى فلسطينهم، وهم لن يسـتريحوا إلا علـى طينـهم، وهم لن يأنسوا إلا لتل أبيبهم. وهم لن يهدأ لهم بال ولن يـهنأ لهـم حـال حتـى يأتيهم كبير منهم - شرتوك أو ابن جريون - يلهمه ربه - كما ألهم موسى ربـه - أن يعود بهم إلى فلسطينهم، وحتى يخلف كبيرهم هذا أبيمالك آخـر يضـرم النـار فى الديار ويرك الآثار.. وحتى يخلف كبيرهم هذا يشوع جديـدًا يضـرب السـيف فى الرقاب، وينزل على أهل الأرض أقسى العقاب.

« أى رجال صهيون من سلالة يهوذا وإسـحق ويعقـوب! أتـاكم عيسـى فيكـم ومنكم نبيًا، فانشققتم فئتين - منكم من تبعه وآمن به فأصبحوا نصارى ولم يفتئوا لا هم ولا سلالاتهم يهودًا منكم - لا من ملتكم ولا من أمتكـم - إن صح تسـميتكم أمة - وقد كانوا أصلاً منكم - ذرية ودما. ومنكم من نفر ولم يؤمن به - وقد هـاجر جلهم وأنتم منهم وتشتت شملهم فى أنحاء العالمين جيلا بعد جيل وبقى بعضـهم فاندمج فى المسلمين والنصارى مـن سـلالة إسـماعيل وإسـحق، فـأصبحوا جميعـا فلسطينيين - طعام هؤلاء حـل لهـؤلاء، وقـد رفـع عنـهم الحـرج أن يسـكنوا وأن يأكلوا سويا، فأصبح من فرضهم الوطنى أن يدفعوا عنهم وعـن أرضـهم شـرازمتكم الأجنبية الطامعة الجبارة، تأتيهم من مشارق الأرض ومغاربها، تجـر الجـور فـى أذيالها، وتحمل الجوع فى أحشائها - لتطغى عليهم وتوقـع الرعـب فـى قلوبـهم والخراب فى ديارهم».

«ما بالكم تتهافتون على أرض غيركم تغتصبونها ظلمًـا وعدوانًـا لتنشـئوا فيـها دولة جبارة مدججـة بالسـلاح مـن دينكـم بعـد أن أصبـح دينكـم عالميًـا لا قوميًـا كما أصبح الدين المسيحى وكما أصبح الدين الإسلامى دينين عالميين» .

ولقـد أصبحتـم عنصـرًا عـاملاً فـى أمـم الأرض جميعـا تسـتغلون خيراتـها، وتكتسبون ثرواتها، فما بالكم لا تندمجون فى تلك الأمم وقد عشتم بين ظهرانيـهم آجالاً وقرونًا وأجيالاً.. وما بالكم تطمعون فى أرض لم تعد بعد أرضكـم، بعـد أن تركتموها آجالا وقرونا وأجيالا، وما أجرأكـم! تطمعـون فـى هـذا الشـطر الصغـير

تنتزعون من أهله أقواتهم وأرزاقهم لتصبحوا دولة جبارة. لا شوكة فى قلب الأمم العربية فحسب - بل خنجرا يسيل دما، سبق أن استللتموه فى عهد أشور والأكاسرة والفراعنة والروم، وكيف يكون ذلك وقد قال نبى فيكم: «أى أبناء أورشليم التى قتلت الأنبياء ورجمت الرسل كم وددت أن أجمعكم سويًا كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها، ولكنكم لم تجتمعوا.. وأصبحت دياركم منكم قاعًا صفصفًا.. وسوف لن ترونى حتى يأتيكم من يقول لكم: «تبارك الذى جاءكم من قبل الله ربكم».. ولكنه لن يأتيكم.. وإن أتاكم.. فسوف لن تقبلوه».

وقد قال لكم نبيكم المسيح عيسى الذى جاءكم منكم ولكم نبيًا، فنبذتموه: «سيؤخذ منكم مُلك ويعطى لأمة حسنت أعمالها».

ما أجرأكم على الله وعلى أنبيائه! - بعد أن اضطهدتموهم وكذبتموهم ورجمتموهم وعذبتموهم - تطلبون العود لأرض نبى بعثه الله منكم فأنكرتموه، فحكم على دياركم أن تكون قاعًا صفصفًا فتشتتم فى مشارق الأرض ومغاربها، وغضب الله يتبعكم.. لا لن يقبل قبر نبيكم هذا ولا مسجد نبيكم ذاك أن يكونا فى عقر دولتكم المزعومة، وقد أصبح هذا المسجد وذاك القبر آمنين فى عقر ديار من آمنوا بها دونكم، وقد أصبحا لأمم المسلمين والنصارى مقدسين محرمين.

وأنتم أى عرب فلسطين.. ضحوا بمالكم فى سبيل صون أرضكم من تلك الشراذمة الغاشمة ولو صبغت بزكى دمائكم.. وها قد هبت الدول العربية إخوتكم - للأخذ بناصركم وإقصاء أعدائكم وأعدائهم عنكم وعنهم..

ولكننى أوصيكم خيرًا بمن تخلف بين ظهرانيكم يهودًا من سلالة إسحق جيلاً بعد جيل فهم ما زالوا مثلكم أبناء جدكم الأكبر إبراهيم، اجعلوا منكم ومنهم أمة فلسطينية واحدة طيبة متحابة، وقد جمعكم أصلاً جد واحد عظيم هو سيدنا إبراهيم تنزعج روحه وتضطرب رفاته إذا ما رآكم وإياهم تتطاحنون وتتقاتلون، وقد ورد فى توراتهم أنه عندما توفاه ربه أغمض جفونه راضيا على عينين قريرتين بين ولديه - جدكم إسماعيل، وجدهم إسحق - عن جنبيه..

والسلام..

والحمد لله رب العالمين ..

ويضيف الأستاذ جفرى بطرس غالى فى كتابه « فلسطين » عن الصهيونية وفلسطين فيقول :

## أصل الدعوة الصهيونية

رحل اليهود عن فلسطين من ألفى سنة، هربًا من اضطهادهم فى فلسطين على أيدى غزاتها الرومان.

واستقر كل فريق من اليهود فى البلد الذى قصد إليه، أو انتهى إليه مطافه، وحاول جهده أن يندمج فى أهل البلد، يتكلم لغتهم، ويعتاد عاداتهم، ويطالب بما لهم من حقوق وبما عليهم من واجبات.

وكان اليهود فى القرون الوسطى يعاملون، فى معظم البلاد الأوروبية، معاملة مجحفة ظالمة. فكان يجب عليهم أن يسكنوا أحياء خاصة بهم. وأن يحملوا شارات تميزهم. وكانوا ممنوعين من تولى المناصب العامة أو مزاولة بعض المهن والحرف.

إلا أن هذه القيود زالت تدريجيًا. وفى العهد الحديث أصبح لا أثر لها، فى أوروبا أو أمريكا، فى الأوضاع الرسمية.

إلا أن اليهود-وهم فى جميع بلاد الدنيا أقلية-مافتئوا يشكون من أنهم يشعرون-فى الواقع ،وفى بعض الحالات- بتمييز خفى فيه بعض الإجحاف بهم.

ويذكرون، على الأخص، القضية الشهيرة التى قامت فى فرنسا فى أواخر الجيل الماضى، وهى قضية الضابط اليهودى « دريفوس » الذى اتهم بالتجسس لأعداء بلاده وخيانة وطنه. وانتهت قضيته إلى تبرءته، بعد أن مرت القضية بمراحل استغرقت من الوقت سنوات وانقسم فيها الجمهور الفرنسى فريقين: أحدهما يعلن صراحة كراهيته لليهود، ويدعو إلى اعتبارهم غرباء عن البلد الذى

استوطنوه، ويرى الفريق الآخر أن اليهود مواطنون أوفياء، لا يختلفون عن سواهم إلا من حيث عقيدتهم الدينية. ولا شأن للدولة فى العقائد.

وانتهز صحفى نمسوى يهودى، يدعى « تيودور هيرتزل »، هذه المناسبة - وكان فى بلاده صحفيًا خاملاً - فأخذ يعلن أن لا أمل لليهود فى أن يظلوا أقليات فى البلاد التى استوطنوها، ودعا، بادىء ذى بدء، إلى أن يهاجر اليهود إلى « أوغندا » البريطانية، فيحولوها إلى بلد يهودى.

إلا أن هيرتزل وجد أن معظم البؤساء من اليهود يشعرون بأن العودة يجب أن تكون إلى فلسطين، لأن فلسطين هى أرض الميعاد المذكورة فى كتبهم المقدسة.

فاندفع هيرتزل مع التيار. وطالب بالعودة إلى فلسطين. أى إلى صهيون، ودعيت حركته بالصهيونية.

على أن معظم اليهود قابلوا الدعوة بآذان صماء.

وفى سنة ١٩١٤م ، بلغ العدد الإجمالى لليهود الصهيونيين الذين يرغبون فى الهجرة إلى فلسطين - التى كانت تابعة وقتئذ لتركيا - ١٢ألف مهاجر فقط.

وكان عدد اليهود فى هذا العهد فى فلسطين كلها سبعين ألفًا، يقابله من الفلسطينيين العرب، المسلمين والمسيحيين ستمائة ألف.

ولما طالت الحرب العالمية الأولى، أرادت بريطانيا العظمى أن تستميل إليها اليهود فى العالم أجمع، وبصفة خاصة اليهود فى أمريكا وفى ألمانيا وفى بلاد الأعداء، على ما سنعود إليه فيما بعد، فأصدرت تصريحًا عرف بتصريح بلفور.

ومعلوم أن تصريح بلفور جاء فى ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ فى صورة كتاب صدر من المستر بلفور باسم الحكومة الملكية البريطانية، إلى اللورد روتشيلد، بصفته من زعماء الصهيونيين. وهذا التصريح فى حد ذاته، لا يعنينا فى الواقع كثيرًا. لأن كتابًا يصدر من وزير بريطانى إلى أحد الأفراد البريطانيين لا يربط إلا الحكومة البريطانية ولا يمكن أن يكون له، من الوجهة القانونية الدولية، أية قيمة.

أما السند ذو الخطر الدولى الحقيقى فى قضية فلسطين فهو ما اصطلح على تسميته بصك الانتداب. وهو قرار أصدره مجلس عصبة الأمم فى ٢٤ يوليو سنة ١٩٢٢، ولم يدخل فى دور التنفيذ إلا فى ٢٩ سبتمبر سنة ١٩٢٣. وقد صدر تطبيقًا للمادة ٢٢ من ميثاق عصبة الأمم. والقرار يتضمن مقدمة مطولة، تتلوها ثمان وعشرون مادة، تفصل واجبات الدولة التى عهد إليها، باسم عصبة الأمم، بأن تتولى، مؤقتًا، إدارة فلسطين، مندوبة عن العصبة.

وقد جاء فى الحيثيتين الثانية والثالثة من المقدمة، ما يأتى ترجمته الحرفية، وهو فى قضية فلسطين بيت القصيد :

« لما كانت الدول المتحالفة الكبرى قد اتفقت كذلك على أن تكون الدولة المنتدبة (أى بريطانيا العظمى) مسئولة عن تنفيذ التصريح الذى أصدرته حكومة صاحب الجلالة البريطانية فى ٢ نوفمبر سنة١٩١٧م، والذى اعتمدته الدول المذكورة، فى مصلحة إنشاء منزل قومى للشعب اليهودى فى فلسطين، على أن يكون مفهوما بوضوح ألا يؤتى شىء قد يلحق ضررًا بالحقوق المدنية والدينية للطوائف غير اليهودية الموجودة الآن فى فلسطين أو بالحقوق والأوضاع السياسية التى يتمتع بها اليهود فى أية دولة أخرى .

« ولما كان هذا التصريح يتمم الاعتراف بالرابطة التاريخية بين الشعب اليهودى وبين فلسطين، وبدواعى إعادة تشييد منزلهم القومى فى هذا البلد. . . » .

هذا النص –الذى تقيدنا فى ترجمته بأن نلتزم حرفيته، لأننا فى مجال يحسب فيه لكل حرف حسابه،– هو أساس النكبة التى نكبت بها فلسطين العربية.

وقد يكون – على ما نرى شخصيًا – فى العودة إليه دون سواه مفتاح الفرج.

## البدع الثلاث

وفى هذا النص بدع ثلاث، لم يسبق لبعضها مثيل فى عالم العلاقات الدولية:

**أولاً** : ذكر ما سمى « بالشعب اليهودى » .

**ثانيًا** : ذكر ما سمى « بالمنزل القومى » .

**ثالثًا** : ذكر ما سمى « بالرابطة التاريخية » بين شعب وبلد.

## الشعب اليهودى

أما عن « الشعب اليهودى » فالاعتراف بوجوده هو تمهيد للنظريات العنصرية التى مجدتها الاشتراكية النازية وبنت عليها سياستها فى كراهية الألمان لليهود كراهية رسمية، واضطهادهم وإبادتهم أو ترحيلهم عن البلاد عنوة.

والسؤال الأول الذى يتبادر إلى الأذهان هو: هل يكوِّن اليهود، فى شتى دول العالم، ما يصح أن يسمى، من الوجهة العلمية البحتة، « شعبًا » له مميزاته الاتنولوجية الخاصة، التى تختلف عن مميزات عموم الشعب الذى يعيش كل فريق من اليهود فى أوساطه، منذ مئات السنين؟

والواقع أن المدى الذى بلغته العلوم فى مادة أصول الشعوب ومميزاتها، لا يزال يدع مجالاً فسيحًا للجدل وتضارب الآراء.

ويكفى أن نضرب مثلاً واضحًا للمصاعب التى يلاقونها، فى الوقت الحاضر، فى الولايات المتحدة الأميريكية، للتمييز بين « البيض » و « السود » ، عندما يختلط دم الاثنين اختلاطاً متواصلاً، فقد نشرت مجلة « تايم » الأميريكية الكبرى، فى ١٢ أغسطس ١٩٤٦م ، بحثًا يفيد أن هناك، فى الولايات المتحدة، قراب ثمانية ملايين من البيض، يجرى فى عروقهم دم أسود، وهناك فى كل سنة ما يربو على العشرين ألف مواطن ينتقلون خلسة من تعداد السود إلى تعداد البيض. وهذا كله من جرّاء الاختلاط الجنسى بين البيض والسود الذى يجعل التمييز فى السلالة عسيرًا، فى كثير من الأحيان.

فإذا كان الأميريكيون لم يهتدوا إلى حدٍّ فاصل بين البيض والسود، فكيف يريد البعض أن يقول بأن اليهود الذين يعيشون فى الأوساط الأوروبية والأميريكية

والشرقية منذ مئات السنين، وهم لا يختلفون عن سائر أفراد الشعب فى اللون أو فى المأكل أو فى المسكن أو فى العادات والأخلاق أو فى اللغة، وكثيرون منهم يتزاوجون بالمسيحيين وغيرهم، تمكنوا مع ذلك بالاحتفاظ، على مر الأجيال ووفرة الاختلاط، بطابعهم الاتنولوجى الذاتى الذى يسمح لعالمٍ، يقدِّس العلم لذاته، أن يقول بأنهم لا يزالون يكوِّنون « شعبًا » ؟ ؟

وقد كان العلماء اليهود أوّل من فند النظريات العنصرية. وأثبت أنه لا يوجد، من الوجهة العلمية البحتة، ما يصح أن يسمى بالعنصر اليهودى، وهذا عندما أرادوا أن يدفعوا عنهم خطر التمييز العنصرى الذى هدّد هتلر به كيانهم فى أوروبا الوسطى.

## روابط الشعب اليهودى

ومن الأسئلة المحرجة التى توجه إلى دعاة الصهيونية – وهم يعملون جهدهم على التهرب منها، فيجب أن يعمل العرب جهدهم على تكرار توجيهها فى كل مناسبة – هى تعريف الرابطة التى يدَّعون أنها تربط بين الصهيونيين الذين يقولون إن تصريح بلفور صدر لمصلحتهم، وإن لهم حقوقًا دولية فى الهجرة إلى فلسطين. فما نوع هذه الرابطة؟

فلو استبانت لنا هذه الرابطة، لوضحت مميزات هذا « الشعب اليهودى » المزعوم.

لا يمكن أن يقال بأن الرابطة دينية – لأن الدين عقيدة وإيمان – وكثيرون من الصهيونيين، فى فلسطين وفى العالم، يجاهرون بأنه لا عقيدة ولا إيمان لهم. وإنما هم من الملحدين، المائلين عن العقائد، الطاعنين فى الأديان. وفضلاً عن ذلك، فالقانون الدولى لا يعرف الأديان، إنما يعرف الجنسيات والتبعية القومية.

لذلك، لما قيل للرئيس ترومان: إنه ينبغى له أن يعمل على أن تفتح أبواب الولايات المتحدة للمهاجرين اليهود، لأن هذه النتيجة المنطقية العملية لعطفه

السياسى عليهم، قال الرئيس: إنه لا يصح للقوانين أن تنظر لأديان المهاجرين، وإنما تنظر لمواطنهم فحسب.

فلا يصح مثلاً لقوانين الهجرة، فى الولايات المتحدة، أن ينص فيها على أنه يقبل عدد كذا من المهاجرين « اليهود »، وإنما ينص فيها على قبول عدد معين من المهاجرين اليوغوسلافيين أو البولنديين أو الأوروبيين عمومًا.

فالتمييز القانونى بين المهاجرين إنما يكون على أساس جنسياتهم، وليس على أساس دينهم، فالأديان فى نظر الدولة كلها سواء.

هذا ما قاله الرئيس ترومان. والحق معه .

وهو يؤيد ما نقترح على العرب أن يذهبوا إليه فى دعايتهم - من أن الرابطة بين الصهيونيين ليست رابطة « دينية » - فأى فرد يستطيع اليوم أن يعتنق الدين اليهودى، عن عقيدة يراها، فهل تحوله فى العقيدة يدمجه فى الشعب اليهودى، ويجعل له الحق الدولى فى أن يطالب بالهجرة إلى فلسطين ؟

ولو كانت الرابطة دينية، لوجب أن ينص على ألا يقبل فى فلسطين إلا اليهودى المؤمن، فإذا ضعف إيمانه، تلاشت جنسيته، وتبخر حقه فى البقاء فى فلسطين.

وهى أيضًا ليست بالرابطة العنصرية، فقد أثبت علماء اليهود ذاتهم كما سبق أن ذكرناه - فى محاولتهم دحض المزاعم النازية عن وجود عنصر آرى، وعنصر يهودى - أن الكثيرين من يهود أوروبا لا تجرى فى عروقهم قطرة من دم اليهود الذين أرحلهم الغزاة الرومان عن فلسطين من ألفى سنة، وأن اليهودى البولندى واليهودى الصينى واليهودى الحبشى لا تجمع بينهم أية رابطة عنصرية، تقوم على أساس علمى جدى.

وكذلك لا تربطهم التقاليد المشتركة، فبعض اليهود إباحيون، وبعضهم محافظون، وبعضهم متطرفون فى النزعات العصرية. وغيرهم من أنصار الرجعية، ومنهم الشيوعى، ومنهم المحافظ، ومنهم الثورى.

فلا سبيل إلى استنباط مميزات من التقاليد والعرف، يصح أن تعتبر رابطة بين اليهود، إذا ما انعدمت الرابطتان الدينية والعنصرية، كما أسلفنا.

فأية رابطة يمكن إذن لدعاة الصهيونية أن يقولوا بوجودها بين قومهم، تجمع شملهم وتجعل من أشتاتهم بناء مرصوصًا؟

لقد انتهى مفكرو اليهود، بعد الجهد، إلى أن قالوا: إنه لا يربط اليهود بعضهم ببعض إلا كراهية غيرهم لهم !!

ونحن نقول، بلسان العرب، إن هذه الكراهية - التى انتهى الصهيونيون إلى أنها الرابطة الوحيدة التى توثق عراهم، وتجعل منهم جماعة - لا وجود لها أصلاً فى كثير من البلاد، ما لم تكن نتيجة لتصرفات اليهود ذاتهم، وعلى الأخص الصهيونيين منهم.

ولقد أفضى سعادة عبد الرحمن عزام باشا، بصفة كونه الأمين العام للجامعة العربية، بتصريح فى لندن أذاعته « روتر » فى ١٢ سبتمبر سنة ١٩٤٦م - بمناسبة انعقاد مؤتمر فلسطين، ننقل منه الفقرات الآتية، وهى فى الواقع تعبر عن شعور أغلبية العرب نحو اليهود، وقد تشبعنا منها فى بحثنا هذا:

« إن العرب لا يضمرون الحقد لليهود، ونحن لا نرغب بحال من الأحوال فى توسيع نطاق روح العداء للعنصر السامى، بل نأمل ألا تخلق الاضطرابات السياسية فى فلسطين فروقًا مصطنعة بين شعب عظيم كالعرب وشعب عظيم آخر كالشعب اليهودى».

« لقد كنا دائمًا أصدقاء تربطنا بهم روابط السلام منذ قرون، وفى اعتقادنا أن فى وسعنا أن نبرهن للعالم أن اليهود والعرب يستطيعون العيش معًا فى سعادة. ولهذا فقد جئنا هنا لمعالجة هذه المشكلة دون أى عداء نحو الجانب الآخر » .

وإننا لنؤيد الأمين العام فيما ذهب إليه من أنه لا حقد ولا عداء فى الشرق نحو اليهود.

وإنما نخالفه كل المخالفة فى ذكره «للشعب اليهودى».

فمن رأينا أن العرب والأوروبيين إنما يجب أن يعرفوا فى كل البلاد « مواطنين يهود» . ولا يعرفون، أبدًا . حيث كان، « شعبًا يهوديًا » .

ومن الجوهرى، فى رأينا المتواضع، أن تنسق سياسة العرب فى قضية فلسطين على القول بأن اليهود أفراد من المواطنين، لهم دينهم ولنا ديننا - وأن هؤلاء الأفراد إنما يكوِّنون أقلية دينية تستحق الحماية المحلية، ولا يكوِّنون بحال من الأحوال، لا فى الشرق ولا فى غيره، «شعبًا» له حقوقه الدولية، ووجوده الذاتى، وزعماء ووكالات وما تدعيه من امتيازات.

فكما أنه لا يوجد فى بريطانيا العظمى شعب بروتستانتى وشعب انجليكانى وشعب كاثوليكى وشعب ملحد وشعب يهودى، وإنما يوجد شعب بريطانى، لكل من أفراده أن يتبع الدين الذى يعتقد به فى قرارة نفسه، وهو فيه منه إلى ربه، وكذلك لا يوجد فى مصر شعب مسلم وشعب قبطى وشعب يهودى، وإنما يوجد شعب واحد هو الشعب المصرى، يتساوى أفراده فى الحقوق والواجبات، وهكذا فى كل من البلاد المتمدينة. فإن النظرة القائلة بأن هناك « شعبًا يهوديًا » يقوم قاسمًا مشتركًا فى كل من بلاد العالم، لهى نظرية هدّامة للأسس القومية، نسّافة للروح الوطنية نتيجتها المنطقية الحتمية تكون - مع شديد الأسف وبالغ الخسارة - أن يعتبر المواطنون اليهود، فى كل من بلاد العالم، غرباء عنه، دخلاء فيه، ما داموا يصرّون على القول بأنهم أفراد « لشعب » غير شعب البلد الذى ولدوا فيه، واستقروا فيه بعد آبائهم وأجدادهم فاستوطنوه.

فالبلاد لا تعرف من أبنائها إلا من ينتمى لها دون سواها.

وتأبى لأى من أبنائها أن يكون له، وقت ما يشاء، أن يعلن أنه صهيونى، فتفتح له أبواب بلد فلسطين، وينزع رداء قوميته الأولى ليصبح فلسطينيًا، ولا يبقى فى بلد مولده وموطنه إلا إذا فضل ذلك على الرحيل إلى فلسطين بمحض اختياره.

## إزدواج الأوطان

إن النظرية القائلة بوجود « شعب يـهودى » لـه فـى فلسطين وطـن أو مـنزل قومى، لهى نظرية ابتدعها الصهيونيون. وهى تزعزع من أساسها مبـادئ القـانون الدولى العام والخاص، القائلة بأن لكل امرىء وطنًا واحدًا ، لا ثانى له.

والمواطنون اليهود، فى كل بلد، المخلصون حقًا لبلدهم، الموالون لصالحـه دون سواها، الشاعرون بقوميتهم فيه شعورًا صادقًا، هؤلاء اليهود هـم الذيـن يجـب أن تلجأ إليهم فلسطين العربية، فـى دعايتـها الدوليـة لحمايتـها مـن خطـر «المـنزل القومى» الذى وعد بلفور بإنشائه لهم فى فلسطين.

فهذا المنزل، لو أتيح له أن يقوم، لا بد أن يصبـح – مجـرد وجـوده – خطـرًا على اليهود، على قدر ما هو خطر على العرب.

فالمواطنون اليهود يجب أن يكونوا، فى وطنهم، ألد أعداء الصهيونيـة الدوليـة والمنزل القومى.

فمصلحتهم الحيوية تقتضى منهم ذلك.

## حذار من التمييز العنصرى

لقد مات هتلر. وقطعت فـروع النظريـات التـى زرعـها، إنمـا الجـذوع لاتـزال قائمة، والجذور لا تزال تمتد فى تربـة قـد تصبـح خصبـة إذا ارتـوت مـن منطـق الظروف.

فالجذوع والجذور لا تقتلع إلا بمر الزمن. ولا سيما جذوع النظريات العنصرية.

ولما كانت حقوق اليهود فى الهجـرة إلى فلسـطين طبقًا لوعـد بلفـور وللقـرار الصادر فى ٢٤ يولية سنة ١٩٢٢م مـن مجلـس عصبـة الأمـم - أساسـها المذكـور صراحة فى الوثيقتين إنما هو وجود «شعب يهودى» وأن هذا الأسـاس، إذا صح وجوده، لكان أقوى الدعائم التى تقوم عليها دعاوى التميـيز العنصـرى المجحـف باليهود فى العالم أجمع – فيجب أن تبرز هذه المسألة فى الدعايـة الدوليـة التـى

يقترح على الأمم الشرقية أن تنظمها لنجدة فلسطين، طبقًا للخطة التى سنعرضها فيما يلى :

فالمواطنون اليهود - فى كل بلد - يجب أن يقنعوا بأن قضية فلسطين العربية هى قضيتهم. ومنع الهجرة إلى فلسطين يوطد مركزهم هم فى موطنهم. والقضاء على «المنزل القومى» اليهودى يترتب عليه، مباشرة ومنطقياً، تثبيت أقدامهم حيث هم، وحماية مصالحهم حيث تقوم فعلاً الآن، والحيلولة دون كراهيتهم واضطهادهم فى البلد الذى استوطنوه، وأصبحوا فيه من أبنائه المخلصين الأوفياء.

نكرر إذن أن من مصلحة اليهود فى جميع بلاد الدنيا أن يعملوا غاية جهدهم لتعتبر اليهودية رابطة « طائفية » روحية ، لا رابطة « شعبية » سياسية .

ومن يقل بعكس ذلك، يفتح الأبواب من جديد، فى الغد القريب أو البعيد، للنظريات العنصرية المجحفة باليهود، تلك النظريات التى تمكنت الديمقراطيات من التغلب عليها. إلا أنها قد تعود ذات يوم، فى البلاد الديمقراطية ذاتها، وتكون أشد فتكًا بالمواطنين اليهود، وأبلغ فى القضاء على مصالحهم المشروعة فى البلاد كافة - لو استمر اليهود على تغذية هذه النظريات بتضامنهم الدولى، ومطالبتهم المستمرة بأن تصبح فلسطين منزلاً قوميًا لشعبهم المختار.

فإلى اليهود البريطانيين والأمريكيين والفرنسيين والمصريين، وغيرهم، يجب أن يوجه الشرق دعايته الدولية على أساس ما قدمنا من اعتبارات.

فمنهم جاء الخطر على فلسطين العربية.

ومنهم قد يجىء الخلاص لفلسطين العربية.

وإلا، إذا استمروا على القول بأنهم شعب دولى له طابعه الخاص، وإن فلسطين منزلهم القومى، لهم فيها حقوق أزلية، لأعملوا بأيديهم معاول الهدم فى كيانهم المحلى. وكانوا فى النهاية من الخاسرين.

## بدعة المنزل القومى

والنظرية المبتدعة الثانية التى جاء لنا بها بلفور فى وعده، ومجلس عصبة الأمم فى قراره، هى نظرية « المنزل القومى » .

فللمجتمع الدولى قوانين ومواثيق ومعاهدات واصطلاحات.

نعرف فيها الأمم، والدول، والحكومات، والشعوب.

نعرف لكل منها معناها ومغزاها.

أما المنزل القومى - ومن الخطأ الشائع أن يترجم بأنه « الوطن القومى » إذ إنه قد سمى فى الأصل الإنجليزى National Home وسمى فى الأصل الفرنسى Foyer national - فلم نر له أثرًا فيما سبق من المؤلفات والمعاهدات والوثائق، ولا فى الأسفار الفقهية، وقد تصفحنا الكثير منها، لعلنا نهتدى فيها إلى أصل قانونى لهذا الاصطلاح الغريب.

ولما كانت العبرة فى هذه الشئون إنما هى بالتطبيق، فقد أثبت التطبيق فى فلسطين، منذ سنة ١٩١٧ إلى الآن، أن الأوضاع الدولية والمحلية لا تستسيغ هذا التعبير ولا تهضمه.

فلا العرب ولا اليهود أدركوا إلى اليوم ما المقصود من إنشاء « منزل قومى » لليهود فى فلسطين.

ومن لم يدرك القصد يضل السبيل .

فالباب الثانى الذى نقترح وُلُوجه - دخوله - فى الدعاية الدولية لقضية فلسطين فى الوقت الحاضر، هو إبراز كل ما يجافى الأوضاع السياسية الدولية والمحلية المألوفة فى بدعة « المنزل القومى » .

وربما كان خير الوسائل لإبراز الغرابة والاستنكار فى ذلك هو افتراض إيجاد «منازل قومية» لشعوب غير الطائفة اليهودية فى بلد غير فلسطين، مثل إيجاد منزل قومى للأرمن، ومنزل قومى للبولنديين المشتتين، ومنازل قومية للاجئين السياسيين فى شتى بلاد العالم.

وكلما أكثرنا فى دعايتنا - على الوجه الذى سنبينه فيما بعد - من ضرب الأمثلة المحلية ، أبرزنا ما فى نظرية « المنازل القومية » من غرابة لا تستسيغها الأوضاع الدولية أصلاً، فى غير فلسطين، فلا يستساغ، بالقياس، إيجادها فى فلسطين ذاتها.

## بدعة الروابط التاريخية

والبدعة الثالثة التى أتى بها القرار الذى أصدره مجلس عصبة الأمم فى ٢٤ يوليو سنة ١٩٢٢م هى الإقرار بوجود « رابطة تاريخية » بين الشعب اليهودى وبين فلسطين، تدعو إلى إعادة تشييد منزلهم القومى فى هذا البلد. ونورد فيما يلى العبارة الواردة فى النص الإنجليزى لقرار المجلس :

" Whereas recognition has thereby been given to the **historical connection** of the **Jewish people** with Palestine and to the grounds for reconstituting their **National Home** in that country.

ولما كانت هذه الفقرة الموجزة تتضمن البدع الدولية الثلاث التى كانت السبب المباشر فى نكبة فلسطين، وكنا، كما أسلفنا، فى مجال لكل حرف فيه معناه ومرماه، نورد فيما يلى النص الفرنسى الرسمى للقرار المذكور:

Considerant que cette declaration complete la reconnaissance des **liens historiques** du **peuple juif** avec la Palestine et des raisons de la reconstitution de son **foyer national** en ce pays.."

هذه البدعة الثالثة - ألا وهى بدعة « الروابط التاريخية » - لا تقل خطورة عن السابقتين، وإذا توسعنا فيها، هدمنا من أساسه الاستقرار الدولى القائم الآن.

فشعوب الأرض كثيرة الرحيل، وهناك علم، قائم بذاته ، لا غرض له إلا تتبع تواريخ رحيل الشعوب، وتيارات الهجرة على مر الأجيال، من بلد إلى بلد.

ويقولون اليوم إن أعظم مدينة إيرلندية هى نيويورك، وأعظم مدينة يونانية هى نيويورك، وأعظم مدينة إيطالية هى نيويورك أيضًا. ولا شك فى أن سلالة المهاجرين اليونانيين والإيطاليين والبولنديين والهولانديين يبلغ عددها أضعاف

عدد أهل هذه البلاد المستقرين فيها حالاً. كما أن سلالة اليهود فى العالم يبلغ عددها بلا جدال أضعاف أضعاف عدد الأجداد اليهود الذين أرحلهم الرومان عن فلسطين منذ ألفى سنة.

إلا أن المهاجرين، مهما تكن بلادهم الأصلية، قطعوا بينهم وبينها، عند رحيلهم عنها، كل الروابط السياسية التى كانت تربطهم بأوطان مولدهم.

وفى البلاد التى قصدوا إليها تجنسوا بجنسيتها، وتكلموا بلغتها، واندمجوا فى مجتمعها، وتزاوجوا من أبنائها، حتى ضاعت معالمهم الذاتية فأصبحوا فى مصاف غيرهم من المواطنين، وكلهم على قدم سواء.

هذا ما فعله المهاجرون الاسبانيون والإيطاليون واليونانيون والإيرلنديون والاسكندينافيون والبريطانيون والهولانديون الذين منهم تكونت أغلب الأمم الأميريكية.

كذلك بالذات فعل الفلسطينيون اليهود فى جميع بلاد العالم.

والفرق الوحيد الذى نراه من الوجهة الدولية بين المهاجرين اليهود وبين المهاجرين غير اليهود، أن اليهود رحلوا عن فلسطين من ألفى سنة بينما أن المهاجرين غير اليهود رحلوا عن بلادهم فى خلال المائتى السنة الماضية.

فإذا قلنا إنه يصح، من الوجهة الدولية، للشعب اليهودى المستوطن فى أوروبا وغيرها، أن يعود إلى فلسطين التى رحل عنها من ألفى سنة استنادًا إلى الروابط التاريخية بين الشعب وبلد رحيله، كان لنا أن نقول أيضًا إنه يصح لكل من أفراد الشعب الإيطالى المستوطن فى أمريكا، من مائة سنة، أن يعود إلى إيطاليا رغم أنف سكان إيطاليا الحاليين. وكذلك للشعب الايرلندى فى أمريكا أن يعود إلى أيرلندا. وللشعب اللبنانى فى البرازيل أن يعود إلى لبنان. وللشعب اليونانى أن يعود إلى اليونان سواء أرضى بذلك السكان الحاليون لهذه البلاد أم أبوا. وكل ذلك تطبيقًا للمبدأ المبتدع القائل بوجود رابطة، تدوم إلى أبد الآبدين، بين البلد الذى هاجر منه المهاجرون وبين سلالة هؤلاء المهاجرين.

هذا التوسع المنطقى فى التطبيق يفضح غرابة المبدأ المبتدع، فى خدمة الصهيونية، من وجود رابطة تاريخية بين « الشعب اليهودى » وبين أرض فلسطين – تلك الرابطة المزعومة التى كانت فى مقدمة عوامل نكبة فلسطين.

فالباب الثالث الذى نقترح ولوجه فى الدعوة الدولية لقضية فلسطين، هو باب استنكار وجود روابط دائمة بين الشعوب، والأراضى التى رحلت عنها. والتدليل على أن الأخذ بهذا المبدأ فيه القضاء على الاستقرار الدولى فى العالم أجمع.

فما يسرى على فلسطين يجب عدلاً أن يسرى على غير فلسطين، إذا ما اتحدت الأركان والعوامل. ولن يشعر الرأى العام فى العالم – وعليه كما أسلفنا كل الاعتماد – بالظلم الذى تتضمنه حالة خاصة.

إلا إذا عممت المبادئ، ذاتها التى طبقت فى الحالة التى يضرب المثل بها تعميما يترتب عليه مساس واضح بالمصالح المحلية الشتى.

## الفكرة الصهيونية تجسمت فى سنة ١٨٥٥م

سبق أن ذكرنا أن الصهيونية لم تدخل فى حيز الوجود إلا فى منتصف القرن الماضى – أى بعد رحيل اليهود عن فلسطين بثمانية عشر قرنًا، عندما بدأ الصحفى النمسوى « هرتزل » بالدعوة إليها.

وفى سنة ١٨٥٥م، اشترى سير موزيس مونتيفيوره أول ضيعة فى فلسطين، بجوار يافا، ليستغلها مهاجرون يهود، يريدون أن يعودوا إلى أرض الميعاد.

وفى سنة ١٨٩٧م تألفت أول هيئة صهيونية فى العالم.

وفى سنة ١٩٠٠م كون البارون إدموند دى روتشيلد « الجمعية اليهودية الاستعمارية » .

وكل هذه المجهودات لم تفلح إلا فى أن جعلت اثنى عشر ألفا من اليهود يهاجرون إلى فلسطين، وهذا من سنة ١٨٥٥م إلى سنة ١٩١٧م فانضموا إلى اليهود الفلسطينيين الأصليين، بحيث أصبح العدد الإجمالى لليهود يقارب، فى فلسطين كلها، فى أواخر الحرب العالمية الأولى ثمانين ألفًا.

## الظروف التى صدر فيها تصريح بلفور

وفى ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧م صدر وعد بلفور كما قلنا. وجاء مكللاً لسلسلة من الجهود المضنية التى بذلتها بريطانيا العظمى لجعل الجالية اليهودية الأميريكية، صاحبة الصول والنفوذ فى الولايات المتحدة، تضغط على حكومة الولايات لحملها على الاشتراك فى حرب سنة ١٩١٤م - ١٩١٨م إلى جانب الحلفاء، بدلاً من أن تستمر فى عزلتها والتزامها الحياد.

ولقد برر المستر لويد جورج هذا التصرف فى خطاب له بمجلس العموم البريطانى، فى ١٩ يونيه سنة ١٩٣٦م، فقال : « كان يهمنا جدًا أن نحصل على معاونة مشروعة يمكن الحصول عليها. وقد خرجنا من الاستعلامات التى بلغتنا من كل جهة فى العالم، بأنه كان حيويا بالنسبة لنا أن نحصل على تعضيد الطائفة اليهودية لقضيتنا » .

بذلت بريطانيا إذن ما بذلته من وعد إلى اليهود ليعضدوها فى الحرب العالمية الأولى.

وكانت تأمل أن يعضدها - إلى جانب اليهود المقيمين فى بلاد الحلفاء - اليهود المقيمون فى بلاد الأعداء ذاتها كاليهود الألمان والنمسويين والمجريين والبلغاريين وغيرهم، على أمل أن يصبحوا فى بلادهم ما اصطلح على تسميته - فيما بعد - بالطابور الخامس.

ولما وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها فتحت أبواب فلسطين على مصراعيها أمام المهاجرين الصهيونيين.

وإذا بهؤلاء يحجمون عن المهاجرة إلى بلاد أجدادهم الأبعدين. ويؤثرون البقاء حيث استوطنوا، هم وآباؤهم، وأجدادهم. حتى إن كبار الصهيونيين أعيتهم الدعاية، فى أوساط اليهود، للرحيل إلى فلسطين. واضطروا إلى أن يبذلوا الأموال الطائلة لإقناع بضعة ألوف من اليهود، أغلبهم من المعدمين المتعطلين، إلى أن يقصدوا إلى فلسطين، حيث كفلت لهم، من المساعدات المالية والاقتصادية والسياسية، أبعدها أثرًا وأوسعها مدى.

ومع كل ذلك ففى العشر سنوات الأولى من عهد الانتداب البريطانى الرسمى على فلسطين – أى من سنة ١٩٢٢م إلى سنة ١٩٣٢م – لم يزد العدد الإجمالى لليهود فى فلسطين، إلا من ثلاثة وثمانين ألفًا إلى مائة وثمانين ألفًا.

أى كانت الزيادة، فى المتوسط، عشرة آلاف يهودى فى السنة بما فى ذلك الزيادة الطبيعية بالتناسل فيما بين اليهود.

وفى نفس الفترة الزمنية، زاد – بالتناسل – عدد العرب المسلمين فى فلسطين مائة وتسعين ألفا، أى ما يقرب ضعف زيادة اليهود.

## اضطهاد اليهود فى أوروبا الوسطى

ظل إذن اليهود ، فى أوروبا، يجافون فكرة الرحيل عن البلاد التى استقروا فيها من أجيال، للقصد إلى فلسطين ، تلبية للدعوة الصهيونية، إلى أن أصبحت حياتهم فى موطنهم لا تطاق، على ما نعرضه فيما يأتى :

وليس هذا فى ألمانيا فحسب، بل وفى النمسا وفى تشيكوسلوفاكيا وفى بولندا وفى إيطاليا وفى فرنسا وفى هولاندا وفى بلغاريا وفى المجر وفى يوغوسلافيا، وفى بلاد أخرى عديدة.

أما فى ألمانيا، فقد بدأت محاربة اليهود العلنية الرسمية فى أبريل سنة ١٩٣٣م، حيث منع اليهود من مزاولة المهن والفنون. ثم صدرت فى سنة ١٩٣٥م القوانين المعروفة بقوانين « نورمبرج » التى حرمت اليهود فى ألمانيا من جميع حقوقهم المدنية، وأجبرتهم على أن تصبغ أعمالهم وصناعاتهم بالصبغة «الآرية». وفى سنة ١٩٣٧م كان مائة وسبعون ألفًا من اليهود الألمان قد اضطروا إلى الرحيل عن ألمانيا، يهيمون على وجوههم، باحثين عن بلد قد يفتح لبعضهم أبوابه.

أما فى النمسا، فيكفى أن نذكر أن عدد اليهود الذين كانوا ينتحرون يوميًا فى فيينا بلغ متوسطه اليومى، فى سنة ١٩٣٧م، خمسمائة انتحار فى اليوم الواحد. وكانت الجمهورية النمسوية يبلغ مجموع سكانها ستة ملايين، منهم نصف مليون من اليهود، أباد الألمان ثلثهم، فى الشهور القليلة التى تلت اكتساحهم النمسا.

وفى تشيكوسلوفاكيا، حيث كان السكان عددهم الإجمالى ١٤ مليوناً منهم نصف مليون يهودى، كان اضطهاد اليهود شديدًا منذ معاهدات الصلح فى سنة١٩١٩م. فقد صدرت قوانين تمنع اليهود من مزاولة أغلب المهن، إلى أن تمكن الرئيس « بنيش » من إلغائها. إلا أن أزمة ميونيخ، وتغليب كلمة ألمانيا فيها، ترتب عليها، فى سبتمبر سنة ١٩٣٨م صدور قوانين جديدة لاضطهاد اليهود، وشددت أحكام هذه القوانين بعد خمسة أشهر. فزال عن الوجود عشر عدد اليهود فى تشيكوسلوفاكيا.

أما فى بولندا ، فكان عدد السكان واحدًا وثلاثين مليونًا، عشرهم من اليهود- وكانت فى «فارسوفيا» وغيرها من المدن البولونية أحياء كاملة لايسكنها إلااليهود المحافظون - وكانت كراهية اليهود سائدة فى البلاد من قديم الأزمان. وبلغ اضطهادهم مبلغًا لا يتصوره العقل، عندما اجتاحت الجيوش الألمانية الأراضى البولونية فى سنة ١٩٣٩م ثم فى سنة ١٩٤١م.

وصدر فى إيطاليا « المانيفستو الآرى» فى يوليو سنة ١٩٣٨م وأقره المجلس الفاشستى الأعلى فى أكتوبر، وابتدأت إيطاليا فى اضطهاد اليهود على النمط النازى. إلا أن اليهود كان عددهم قليلا فى إيطاليا، ولم يتحمس الإيطاليون فى اضطهادهم.

وفى فرنسا بدأ اضطهاد اليهود رسميًا منذ عقد الهدنة مع ألمانيا فى ٢٢ يونية سنة ١٩٤٠م، واحتلال فرنسا عسكريًا.

وأصدر المارشال « بيتان » قانونين فى أكتوبر سنة ١٩٤٠م وفى يونية ١٩٤١م، الغرض منهما القضاء على اليهود والمصالح اليهودية فى فرنسا وهى كثيرة. وبلغ اضطهاد اليهود أوجه فى صيف سنة ١٩٤٢م. وكان عددهم يبلغ نصف مليون يهودى فى فرنسا كلها.

وكذلك بلغ اضطهاد اليهود فى هولاندا أشده فى يولية ١٩٤٢م، فى عهد الاحتلال الألمانى. فمنع اليهود من مزاولة أية مهنة أو تجارة. ومنعوا من ركوب

«الترام». ومنعوا من دخول المحال العامة. ثم تقرر نفى أغلبهم إلى بولندا. وقد حال انهيار ألمانيا دون تنفيذ ذلك.

أما فى المجر. فكان اليهود فى غابر الأزمان يخضعون لقوانين خاصة مجحفة بهم. وقد ألغيت فى سنة ١٨٦٧م، إلا أن كراهية اليهود بقيت. وعوملوا معاملة شاذة فى عهد بلا خان، ثم فى عهد جومبوس فى سنة ١٩٣٢م. وفى سنة ١٩٣٨م صدر قانونان يحرمان على اليهود تولى الوظائف العامة وأغلب المهن.

ولا داعى لأن نستعرض هنا، بالتفصيل، التشريعات والوسائل التى استعين بها للقضاء على اليهود فى شتى بلاد أوروبا الوسطى. ففيما ذكرناه الكفاية لتصوير الحالة العامة.

هذه كانت دراسة شبه مستفيضة حول فلسطين والصهيونية والمشكلة التى تشغل بال كل عربى والتى تثير الرأى العام العالمى فى وقتنا الحاضر والتى تجعل إسرائيل تستخدم كل أساليب البطش والقوة والإرهاب فإلى متى تنتهى هذه المشكلة وتعيد الحق لهذا الشعب المكافح.

وأثناء وجودى فى المكتبة المركزية لجامعة القاهرة وجدت كتاباً فى غاية الأهمية فى وقتنا هذا، وهو « تاريخ فلسطين » لعمر الصالح البرغوثى وخليل طوطح. حيث يتناول الكتاب فلسطين منذ بدء التاريخ حتى الاحتلال الانجليزى وظهور الصهيونية على الساحة السياسية فى العالم. فالكتاب موسوعة تاريخية وجغرافية لهذه البقعة الغالية فى وطننا العربى، وقد طبع هذا الكتاب أول مرة عام ١٩٢٣م فى مطبعة بيت المقدس.

نسأل الله العون والمغفرة والله المعين.

القاهرة فى ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م

**الدكتور محمد زينهم محمد عزب**

# مقدمة الكتاب

لما رأينا الأمة العربية جادة فى بناء جامعتها التى لا تقوم إلا بإحياء تاريخها عمدنا إلى وضع تاريخ فلسطين لما له من الأهمية التاريخية ولأنُه يجب عَلَى كل إنسان أن يدرس تاريخ بلاده وأمته ثم تاريخ الأمم الأخرى، وقد استطردنا فى البحث عن شرقى الأردن وسورية والعراق والحجاز ومصر وما هبط إلينا من الأمم الغريبة ليستفيد منهُ الطالب ويستعين بهِ الأستاذ فلم نفرط فى اختصار الحوادث الأجنبية كما أنا لم نسهب فى تفصيل أخبار العرب ونفخنا فيهِ من الروح الوطنية المفرغة فى قالب التاريخ الذى كنا نظنهُ سهل المأخذ قريب التناول فالفيناه صعب المرام بعيد المنال تعجز الأفكار عن استجلاء مشاكله وتجمد القرائح فى تدقيق متناقضة لاسيما أن تاريخ العرب غامض لم ينخله الناقدون وقد تخلله فترات من الزمن لم يسجلها المؤرخون ولم تكشفها الحفريات والنقوش فلا جرم أن اشتبه علينا الخطأ بالصواب لرغبتنا فى سرعة إنجازه لأنا بحاجة ماسة إليهِ وإنا شاكرون كل من نبهنا لإصلاح أو تكرم بستر عورة فما الكمال إلا لله ونرجو الله أن يجنى مواطنونا منهُ نفعًا وهو الموفق للصواب

«المؤلفان»